القانون الطبيعي هو التطور الطبيعي للحكم بالحق الإلهي

ماهي الديمقراطية ؟

إنها كلمة يونانية قديمة من شقين ديموس وتعني الشعب وكراتوس وتعني الحكم ، والتعريف الكلاسيكي للكلمة المركبة هو حكم الشعب وقد يتزيد البعض فيضيف بالشعب، ثم يتفذلك أحدهم فيضيف للشعب والحاصل أن الديمقراطية المباشرة (الأثينية) أو ديمقراطية المدن والتي يرى البعض أنها أكمل صور الديمقراطية كانت في جوهرها معادية للبشر وأسوأ صورة للتمييز العنصري والجنسي والطبقي فقد كانت هذه الديمقراطية تستعبد النساء والرقيق ... وكل من لايمتلك منزلا في ضاحية «أتيكا» موئل الأغنياء والموسرين ، كانت البذرة قد ألقاها أفلاطون في الأرض اليونانية التي ورثتها الإمبراطورية الرومانية الغربية أم الحضارة الغربية الحديثة التي جعلت اللذة الحسية والمنفعة المادية دينها الحقيقي وإن كانت أعطته اسما جديدا « القانون الطبيعي » ... ماذا يقول القانون الطبيعي ؟

يقول : إن الإنسان يولد ومعه حقوقه لصيقة به ... إنها الحق الطبيعي ، ويسعي كل إنسان بكل قوته لتحقيق مصلحته والمجتمع الإنساني هو مجموعة من الأفراد ، وعندما يسعى كل فرد لتحقيق مصلحته تتحقق بالتالي مصلحة المجتمع كله ... ذلك هو القانون الطبيعي ، كلام جميل للوهلة الأولى، ولكنه خادع في جوهره وهو ماسنبينه لاحقا ، المهم عندما نحاول تطبيق هذا الكلام في مجال الاقتصاد تكون الرأسمالية التي تقوم علي مبدأي المنافسة الحرة وحرية السوق بوصلتها الربح وكفي والدولة الرأسمالية كما يقول القانونيون هي « الدولة الحارسة » التي تقوم علي حراسة القانون الطبيعي ، وعندما ننتقل إلي مجال السياسة تكون الليبرالية الوجه الآخر للرأسمالية التي تقوم علي حرية الرأي والتعبير والفعل وفقا للقاعدة « دعه يعمل دعه يمر » ... كلام جميل للوهلة الأولي ولكنه خادع في جوهره ... كيف ذلك ؟

دعونا أولا نري إلي ماذا أوصلنا القانون الطبيعي ، في مجال الاقتصاد أوصلتنا المنافسة الحرة إلي الاحتكار ... احتكار الأسواق ، ثم الإستعمار ، قضت الرأسمالية المتوحشة علي صغار الرأسماليين والحرفيين في بلادها ثم تمددت فقضت في معاركها الضارية علي أمم وشعوب وكان من إنجازات هذه الرأسمالية المتوحشة القضاء على نصف سكان إفريقيا في تجارة « الرق » الحقيرة ثم سلسلة طويلة من الحروب .. كان ضحايا الحرب العالمية الثانية وحدها خمسين مليونا والتي انتهت بالقنبلة الذرية على مدينتي هيروشما ونجازاكي بعد أن كانت الحرب قد وضعت أوزارها فعلا، أبادت الولايات المتحدة مدينتين كاملتين ، وزرعت الموت والدمار لأجيال عدة لهدف واحد ... واحد فقط ، هوأن تثبت للإتحاد السوفييتي اللاعب الجديد علي الساحة الدولية أنها الأقوى ... نحن هنا ما هذا الإجرام !!وحتى يبرر الغرب لنفسه نذالته وإجرامه اخترعت الليبرالية نظرية الرجل الأبيض تبرر بها نهبها للعالم الثالث وتدعي أنها تنقل رسالة الحضارة للشعوب المتخلفة آكلة لحوم البشر ... آه يا ولاد (...) ياتجار البشر ... ياتري إيه السبب ؟!

إنه خلل جسيم بنيوي يكمن في القانون الطبيعي نفسه ، فالإنسان (المطلق) هذا لامحل له من الوجود،إنه مجرد وهم يفترضه القانون الطبيعي ... هل هو رجل أو امرأة؟، طفل أو شاب أو كهل؟ ، سعيد أم شقي؟ ، مريض أم صحيح البدن؟ ، متزوج أو أعزب؟ ، فقير أم غني؟ ، خائف وجل جائع أو مطمئن آمن شبعان مستقر؟ ، جزء من جماعة أم شريدا وحيدا طريدا منعزلا... إلخ الحاصل أن الإنسان أي إنسان هو عضو في جماعة إنسانية حتي لو كانت عصابة إجرامية والجماعة هي التي تشكل الجزء الموروث في شخصية الإنسان ثم تتدخل نفس الجماعة مرة أجري لتحدد استجابة الفرد للظروف – الجزء المكتسب من الشخصية – إذا الإنسان بشقيه الموروث والمكتسب هو ابن أو نتاج مجتمعه وإن كنا نفضل لفظة ابن ، إن

الإنسان وهو يتصور مستقبله محكوم بتاريخه الذي يحمله في داخله الذي صنعته جماعته وأحلام وإمكانيات جماعته وواقعه الذي يعيشه هو وجماعته؟... ماذا إذا قرر هذا الإنسان أن يتحرر من تاريخه وأن يحلم بنفسه لنفسه بعيدا عن جماعته . وهذا هو إنسان القانون الطبيعي ... يذهب طبعا إلي الجحيم غير مأسوف عليه هو وقانونه، هذا هو مقتل القانون الطبيعي أو مقتل الإنسان في القانون الطبيعي الذي شكل روح الحضارة الغربية ... حضارة الفرد والواحدية ، وفي هذه الحضارة لاتوجد قيم إنسانية أو جماعية ، وتصبح اللذة الحسية والمنفعة المادية هي حوافز الحركة الإنسانية ومحددات السلوك في نفس الوقت ، لذا يصبح مقاومة الهيمنة والاستعمار إرهابا وتصبح التضحية والاستشهاد من أجل الأوطان انتحارا .

من الغريب أن البعض عندنا اعتنق هذا الفهم فصدرت فتوي لعبد العزيز بن باز والطنطاوي تعتبر الاستشهاديين الفلسطينيين منتحرين وجري اعتماد ذلك في التليفزيون المصري لولا غضبة الرأي العام ، وإن كانت السياسة العربية الرسمية تعتبرها فعلا متطرفا ... التطرف هو الاسم المهذب لمقاومة مشاريع الهيمنة الأمريكية الصهيونية ، والعرب أو الإسلاميون العرب هم دعاة ثقافة الموت في مواجهة ثقافتهم هم .. ثقافة الحياة (!!!) والإنسان في الحضارة الغربية في معركة دائمة إما أن يكون فيها آكلا أو مأكولا قاتلا أو مقتولا ... في الحضارة الغربية غير مقبول أن تمارس الرياضة مثلا من باب المتعة أو المنافسة الحرة الشريفة ، كلا إنها صراع حتى الموت من أجل المال وحتى يتم استغفال الناس تقام البطولات والمسابقات ويقف خلفها وحوش الرأسمالية يخططون كيف يمكن تحويل ذلك إلي منال ... مراهنات ومنشطات وشركات وحروب عصابات وكله « بتمنه » ولتذهب الأخلاق إلي الجحيم. والغربيون لايفهمون التباين والاختلاف بين شعوب وأمم الأرض وأنها سنة كونية ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وهذا الاختلاف والتباين هو القوة

المحركة أو الدافعة للتطور الإنساني ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ﴾... لذا لايفهم الغرب هذا الموقف الرافض لتنميط البشرية كلها – جعلها نمطا أو شكلا واحدا – لايفهمون لماذا لايريد العالم أن يصبح أمريكيا !!

لقد كان القانون الطبيعي هو التطور الطبيعي للحكم بالحق الإلهي ، ذلك الحق الذي ابتكره أباطرة العالم القديم والذي انتهي بالتحالف غير الشريف بين الطواغيت ورجال الدين المسيحي في العصور الوسطي ، يبارك فيه رجال الدين سلطة الملوك – يدعون أنهم ظل الله في الأرض – في مقابل اقتسام الغنائم ، بل يذكر التاريخ أن البابا أنوسنت الثالث كان هو الذي حرض ملوك أوربا وأمرائها للذهاب للشرق للحصول علي خيراته، وكانت هذه هي الحروب الصليبية التي مازال الغرب وعلي رأسه الولايات المتحدة الأمريكية يخوضونها ضد العرب قلب العالم الإسلامي ... ونقول لله والتاريخ : أن إجرام الآخرين لايجب أن يدفعنا لتبني وجهة نظرهم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ لايمكن لنا نحن العرب أن نخوض حربا دينية ضد اليهود أو المسيحيين لأننا ببساطة نعترف بأديانهم و كتبهم و أنبيائهم ، نحن نخوض حربا ضدهم لأنهم اغتصبوا أرضنا ... الصراع علي الأوطان لا الأديان . ذلك كان مقتل القانون الطبيعي أو الديمقراطية الغربية (الليبرالية) ووحده عبد الناصر ومن خلفه الحركة القومية كان أول من أدرك ضرورة تصحيح مسار الديمقراطية المتوحشة إلي الديمقراطية السليمة .